



الأربعاء 19 أبريل 2006 02:01 م

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (163)﴾ (الأنعام).

الناس رجلان: رجل يعمل ما يعمل من الخير، أو يقول ما يقول من الحق وهو يتبعني بذلك الأجر العاجل والمنوبة الحاضرة، من مال يجمع، أو ذكر يرفع، أو جاه يعرض ويطول، أو لقبٍ ومظهر يصول به ويجول.. ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِصَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْخَرْبِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَاِبِ (14)﴾ (آل عمران).

ورجلٌ يعمل ما يعمل، أو يقول ما يقول؛ لأنه يحب الخير لذاته، ويحتم الحق ويحب له لذاته كذلك، ويعلم أن الدنيا لا يستقيم أمرها إلا بالحق والخير، وأن الإنسان لا يستقيم إنسانيته كذلك إلا إذا رصده لنفسه للحق والخير ﴿وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2)﴾ (الأنبياء) الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر (3)﴾ (العصر)، أو لأنه يحب الله ويخشاه ويرجوه، ويقدر عليه في الوجود والقدرة والإرادة والعلم وسائر ما منحه إياه، ففضلته بذلك على كثير ممن خلق تفضيلاً، وهو يعلم أن الله قد أمر بالخير فقال: ﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الحج: من الآية 77)، وأوصى بالثبات على الحق، فقال: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ (79)﴾ (النمل) فهو لهذا يرجو ما عند الله، ويتبعني بقوله وعمله مرضاته وحده، وقد يرتقي به هذا الشعور فيرى أن كل ما سوى الله باطل، وكل ما عداه زائل؛ فمن وجده فقد وجد كل شيء، ومن فقد شعوره فقد كل شيء، هو الأول والآخر الظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم، فهو الذي لا يدري أحداً غيره حتى يولى إليه وجهه، أو يصرف نحوه حقه وخيره، ﴿فَعَبَّرُوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ (50)﴾ (الذاريات)، ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ (42)﴾ (النجم).

أو لأنه يعلم أن هذه الدنيا زائلة فانية، وكل ما فيها عرض حقير، وخطر يسير، ومن ورائه حساب عسير، وإن الآخرة هي دار القرار، فهو يزهد كل الزهادة في الجزاء في هذه الدنيا، ويرجوه في الآخرة، فالمال إلى ضياع وورثته، والجاه إلى تقلص ونسيان، والعمر إلى نفاذ وانقضاء مهما طال ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْقَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ (النحل: من الآية 96)، ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (17)﴾ (الأعلى)، وهو يرجو المنوبة نعيماً في الجنة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

ومن الناس قسم ثالث يود أن يأخذ من هذه وتلك، وقلما يستقيم له الأمر، فهما ضربتان إن أرضيت إحداهما أغضبت الأخرى، وكفنا ميزان إن رجحت واحدة شالت واحدة، على أن المقطوع به أن من أراد الأولى خسر الآخرة، ومن أراد الآخرة حازها معاً، وصح له النجاح فيهما جميعاً، ومن خلط بينهما كان على خطرٍ عظيم، ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا (18)﴾ (مَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا (19)﴾ (الإسراء).

ومن هنا آثر الصالحون من عبادِ الله في كل زمان ومكان أن يتجردوا للغايات العليا، ويصرفوا نيّاتهم ومقاصدهم وأعمالهم وأقوالهم إلى الله جل وعلا، متجردين لذلك من كل غاية، متخلصين من كل شهوة ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ (البينة: من الآية 5).

ومن هنا قرأنا في تاريخنا قصة ذلك الذي عثر على حُقٍّ من الجواهر العالي الثمين في القادسية، فقَدَّمه إلى الأمير طائِعًا، فعجب من أمانته وقال: "إن رجلاً يتقدم بمنزل هذا لأمين، ما اسمك حتى أكتب إلى أمير المؤمنين فيجزل عطاءك، وينبه اسمك؟".

فقال الرجل: "لو أردت وجه أمير المؤمنين ما جنثُ بهذا، وما وصل عمله إليك ولا إليه، ولكن أردتُ وجه الله الذي يعلم السرَّ وأخفى، وحسبي علمه ومثوبته، وانصرف ولم يذكر اسمه، وأثر ما عند الله، وأمثال ذلك كثير في تاريخنا الزاخر بمعاني التجرد للخير والحقِّ والعمل الصالح ابتغاء مرضاة الله.. فهل تستقيم على هذا النهج القويم؟ اللهم آمين.

-----  
\* عضو مكتب الإرشاد لجماعة الإخوان المسلمين

<https://www.ikhwanonline.com/article/19744>